مظاهر التكريم الالهي للانسان في القرآن الكريم

د. امل سهيل عبد الحسيني
جامعة كربلاء /كلية العلوم الاسلامية

لقد كرم الله الانسان ، فجاء القرآن الكريم زاخراً بالآيات القرآنية التي تتحدث عن ذلك التكريم، وهذا التكريم له، من حيث هو إنسان، بغض النظر عن جنسه ودمه ودينه ولغته ووطنه ومركزه الاجتماعي، فهو مُكرَّم، كرمه الله وميزه عن سائر المخلوقات. وقد كان هذا التكريم مندرجاً تحت مظاهر عدة، بيّنها القرآن الكريم. والحديث عن تكريم الله عز وجل حديث عن ربنا الكريم وكيف أفاض من كرمهِ على هذا الانسان فجعله مكرماً، مكرم الأصل، ومكرم الفرع، وقد اشتق هذا التكريم من الكرم الذي هو: جماع الخير كله، فالكرم ليس هو الجود كما هو شائع، ولكنه ضد اللؤم، والكرم جماع الصفات الحميدة كلها، والكريم هو المتصف بتلك المحامد إتصافاً يجعلها ظاهرة فيه ظهوراً جلياً، هكذا يحدد أهل اللغة الكرم، فهو ضد اللؤم وليس ضد البخل، كما هو شائع [١]، وإكرام الله عز وجل لعباده من الملائكة أو من الناس هو إنعام عظيم من وجوه لا عد لها ولا حصر على هذه الكائنات.

والتكريم جعل الشيء المكرم كريماً في ذاته منعماً عليه إنعاماً عاماً بصفة من الصفات أو مجموع من الصفات، ولكنه جعله في حد ذاته كريماً أو نفيساً، فكل شيء شُرِّف في بابه فقد كُرِمَ، والتكريم جعل الشيء كريماً فعلاً[٢] ،والله عزوجل حين قال:(ولقد كرمنا بني آدم) (الإسراء :٧٠) خاطب (الإنسانية) بتعبير اليوم، و(بني آدم) بتعبير القرآن، فأفاد أمرين :

١- أفاد تكريماً لهؤلاء الذين تناسلوا من آدم (ع) الى قيام الساعة ذكوراً أواناثاً.

٢- أفاد ان من تكريمهم أنهم قد تناسلوا من آدم ، وآدم قد كرم قبل الانطلاق ، أي انطلاق الإنسانية منه، وهذا ما جاء على لسان ابليس حينما قال:(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً)(الإسراء:٦٢). فقوله (هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) اشارة الى آدم(ع)حين امر الله عزوجل الملائكة ان يسجدوا له، فآدم بنص هذه الآية قد كُرّم ايضاً، وبنص الآية الثانية كُرّمت ذريته، ومن تكريم ذريته اشعارهم وتذكريهم بأنهم أبناء آدم، فما هي يا ترى مظاهر التكريم الإلهي لآدم (ع) وذريته؟

****

المطلب الاول: التكريم الاول: خلقه في أحسن تقويم

معنى أحسن تقويم:

تقويم :(يعني تسوية الشيء بصورة مناسبة ، ونظام معتدل وكيفية لائقة) [٣] ،وقوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين :٤) يشير الى سعة مفهوم الآية ؛ لأنه تعالى أشار فيها الى انه خلق الانسان (بشكل متوازن لائق من كل الجهات ، الجسمية والروحية والعقلية ، اذ جعل فيه ألوان الكفاءات، واعده لتسلق سلم السمو ، وهو- وان كان جرماً صغيراً- وضع فيه العالم الأكبر ، ومنحه من الكفاءات والطاقات ما جعله لائقاً لوسام (ولقد كرمنا بني آدم) (الإسراء : ٧٠) وهذا الانسان هو الذي يقول فيه الله سبحانه بعد ذكر انتهاء خلقتهِ :(فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون : ١٤))[٤]. غير ان الانسان ظلم نفسه وسار في طرق أخرى لا تؤدي الى السعادة، ولا توصله الى الأمان، فإستحق بذلك أن يكون موضع ملامة وتقريع، فقال تعالى عنه: (إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (الأحزاب: ٧٢)، (إِنَّ الإِنْسانَ لَكَفُورٌ) (الحج: ٦٦)، (إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى) (العلق: ٦-٧)، فكان حينما انحرف عن مسيرة الله أسفل سافلين، فقال تعالى: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) (التين : ٥) ، وهذا الانحراف هو الذي سبب المآسٍ والانتكاسات المتكررة للإنسانية عبر تاريخها الطويل، فكل انتكاسة كانت بسبب الانحراف عن الطريق الإلهي وإتباع الهوى. ونظرة بسيطة يُدرك منها ان ما تحقق من مآسي للإنسانية يرجع الى ظلم الانسان لأخيه الانسان، فالكوارث التي مرت على الانسان لم توجب تخلفاً له كما حصل من ظلم الانسان لأخيه، وإذا القينا نظرة بسيطة على العالم العربي والإسلامي نرى النصيب الأوفر من التخلف وإهدار حقوق الانسان ، فالتعذيب والقتل للأبرياء واختفاء المعارضين والسجن بلا سبب والمحاكمات الصورية أنماط متعددة أوجبت التخلف وجعلت الانسان يندرج تحت ظلم أخيه.

من جانب آخر قيل ان معنى خلقه بأحسن تقويم هو: (ما عليه وجوده أوان الشباب من استقامة القوى، وكمال الصورة وجمال الهيئة ، وبردّه الى أسفل سافلين رده الى الهرم بتضعيف قواه الظاهرة والباطنة ، وتنكيس خلقته، فتكون الآية في معنى قوله تعالى :(وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ) (يس : ٦٨) [٥].

وقد تحدث القران الكريم عن هذا التكريم في الخلقة فقال تعالى: (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) (غافر: ٦٤)، إذ تكون (القامة متوازنة خالية من الانحراف ، وجه في تقاطيع جميلة لطيفة هما في منتهى النظم والاستحكام ، اذ يمكن بلمحة واحدة التمييز بين الكائن البشري وبين الموجودات والكائنات الأخرى) [٦]، على حين ذهب بعض المفسرين في تفسير (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) (الى معنى أوسع من الصورة والشكل الظاهري والتكوين الداخلي ، فقال : إن المعنى يطوي كل الاستعدادات والأذواق التي خلقها الله في الانسان وأودعها فيه، ففضله بها على كثير ممن خلق)[٧].

والى جانب ما نطق به القرآن نجد ان هناك نظريات امتلكت من الأدلة العلمية الشيء القليل، بل أدلتها - ورغم قلتها - كانت مبعثرة ولا يمكن بأي حال من الأحوال ان تنهض في بناء نظرية معقدة كأصل للحياة، فكانت نظرية دارون الخرافة العلمية التي أبطلها القرآن، وصدع بها الحق تبارك وتعالى واثبت أنها لا تمتلك أي دليل علمي؛ لإسنادها على الإطلاق ، ولا تتعدى ان تكون مجرد استقراء مبني على اساس أن فكرة التطور صحيحة ، ومنها يرجع العلماء الى الوراء لطرح بعض الآراء على هذا الأساس[٨].

وقد عدت بعض الروايات أن قدرة الانسان على استعمال يديه في عمله ومشربه ومأكله بالإضافة الى انتصاب قامته من التفضيل وليس من التكريم .

فقد نقل عن الإمام علي بن الحسين(ع) في قوله تعالى :(ولقد كرمنا بني آدم) انه قال: (فضلنا بني آدم على سائر الخلق وحملناهم في البر والبحر ، ثم قال: على الرطب واليابس، (ورزقناهم من الطيبات) قال : من طيبات الثمار كلها (وفضلناهم) قال: (ليس من دابة ولا طائر إلا وهي تأكل وتشرب بفمها لا ترفع يدها الى فيها طعاما ولا شراباً غير ابن آدم فانه يرفع الى فيه بيده طعامه، فهذا من التفضيل)[٩] كذلك ما ورد عن الإمام الصادق(ع) في تفسير قوله تعالى:(وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء: ٧٠) قال (ع): (خلق كل شيء منكباً غير الانسان خلق منتصباً)[١٠] .

وفي الخبر عن رسول الله (ص) قوله :(ما من شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم، قيل يا رسول الله ! ولا الملائكة؟ قال : ولا الملائكة لان الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر) [١١].

المطلب الثاني : التكريم الثاني: نفخ الروح في الانسان

<u>معنى نفخ الروح:</u>

النفخ: نفخ الريح في الشيء، ومنه نفخ الروح في النشأة الأولى، قال تعالى: (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) (الحجر: ٢٩) [١٢].

يقول الطباطبائي: النفخ: (إدخال الهواء في داخل الأجسام بفم أو بغيره ويكنى به عن إلقاء أثر أو أمر غير محسوس في شيء ، ويعني في الآية إيجاده تعالى الروح الإنساني بحالة من الرابطة والبدن، والتعلق وليس بداخل فيه دخول الهواء في الجسم المنفوخ فيه)[١٣] .

والى ذلك ذهب الواحدي بقوله :(النفخ إجراء الريح في الشيء، والروح جسم رقيق يحيا به البدن، ولما أجرى الله الروح في بدن آدم على صفة إجراء الريح، كان قد نفخ الروح فيه وأضاف روح آدم اليه اكراماً وتشريفاً) [١٤].

أما الروح هنا فإنها تعني: (القدرة ،وأضافته الى نفسه إضافة مُلك ، وتخصيصه بالإضافة تشريفاً وتعظيماً له ، ويكون المعنى :نفخت فيه من قدرتي ، وبذلك يمكن ان يكون المعنى بعد ان نفخ في الجسد من قدرة الله تسامى التكوين العضوي المادي الى أفق جديد هو الأفق الإنساني المتميز ، وأصبح مخلوقاً متفرداً بالكثير من خصائصه على بقية المخلوقات ، خاصة بنعمة العقل والإرادة والاختيار)[١٥].

وقد عضد هذا الرأي الروايات الواردة عن الأئمة الأطهار، فمن ذلك ما ورد عن الإمام الصادق (ع) فيما رواه عنه سماعه بعد أن سأله عن الروح انه قال :(هي قدرتهِ من الملكوت)[١٦].

ونقل عن محمد بن مسلم انه سأل الإمام الصادق عن قوله تعالى :(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) قال: (روح اختاره واصطفاه وخلقه وأضافه الى نفسه وفضله على جميع الأزواج فأمر فنفخ منه آدم) [١٧] .

وكذلك ما نقله الكافي عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر (ع) عما يروون: ان الله خلق آدم على صورته فقال :هي على صورة مخلوقة محدثه اصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة فأضافها الى نفسه كما أضاف الكعبة الى نفسه فقال :(بيتي) ونفخت فيه من روحي [١٨]، الى غير ذلك من احاديث تبين معنى الروح .

ومرحلة النفخ في الروح تعد المرحلة الثانية بعد مرحلة التسوية والخلق في أحسن تقويم ، ليكون الانسان بذلك مكرماً مفضلاً على كثير ممن خلق الله تعالى من خلق كالحيوان والنبات والسماوات والارضين والشمس والقمر والجبال والبحار والنجوم والدواب وغير ذلك كثير.
هذا فيما اذا كان الانسان مؤمناً مطيعاً لربه فيما امر وما نهى، عن هذا الشرط تحدث الإمام الباقر (ع) بقوله :(ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من مؤمن لان الملائكة خدام المؤمنين).[١٩]
وبعد مرحلة النفخ هذه أعلن المولى عزوجل أمام الملأ الأعلى وفي حشد ملائكي عظيم عن خلق جديد ، فكان اختياره تعالى ليكون خليفته على الارض ، فكان هذا احتفالاً ملائكياً مهيباً ، لتأتي بعدها المرحلة التالية من التكريم.

المطلب الثالث : التكريم الثالث: سجود الملائكة لآدم

قال تعالى :(إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ (٧٤) قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ (٧٥)) (ص: ٧١-٧٥) وحيث تكررت هذه القصة في سور كثيرة من القرآن الكريم [٢٠] لتذكير الانسان بـ:
١- بفضل الله تعالى عليه .
٢- وليعرف مكانته في الوجود والكون .
٣- ليحذر من غواية ابليس اللعين .
علماً ان هذا التكريم والاحتفاء وسجود الملائكة لم يكن لشخص آدم (ع) فقط، بل كان للنوع الإنساني أجمع وكذلك جميع ما يترتب من أمور إلهية تكليفية فان المقصود بها الانسان عامة وان كان الخطاب والسجود متوجهاً لابينا آدم (ع)، ولكن بأية هيئة كان هذا السجود؟ وما معنى ذلك السجود؟ لماذا امر الله الملائكة بالسجود؟
السجود: أصله التطامن [٢١] والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الانسان، والحيوانات، والجمادات [٢٢] أما السجود لآدم فقيل : (أُمِروا بأن يتخذوه قِبلة، وقيل : أُمِروا بالتذلل له ، والقيام بمصالحهِ، ومصالح أولاده ، فأتُمِروا إلا ابليس) [٢٣] .
وهذا يعني: (ان الملائكة لم يؤدوا لآدم قطعاً (سجدة عبادة) بل كان السجود لله من أجل خلق هذا الموجود العجيب، أو كان سجود الملائكة لآدم سجود (خضوع) لا عباده) [٢٤].
وقد أيدت ذلك سُنة أهل البيت (ع) فقد جاء عن الإمام الرضا في حديث طويل جاء فيه: (إن الله تبارك وتعالى خلق ادم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا واكراماً ، وكان سجودهم لله تعالى عبودية ، ولآدم اكراماً وطاعة لكوننا في صلبه ، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون).[٢٥]
ومن هذا السجود (يستفاد جواز السجود لغير الله في الجملة اذ كان تحية وتكرمة للغير وفيه خضوع لله تعالى بموافقة أمره ، ونظيره قوله تعالى في قصة يوسف (ع): (ورَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) (يوسف: ١٠٠))[٢٦].

كذلك (جعل أصحابنا رضي الله عنهم هذه الآية دلالة على ان الأنبياء أفضل من الملائكة من حيث انه أمرهم بالسجود لآدم (ع)، وذلك يقتضي تعظيمه وتفضيله عليهم وإن كان المفضول لا يجوز تقديمه على الفاضل علمنا انه أفضل من الملائكة) [٢٧].

وقد عد أكثر المفسرين ان (هذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم،امتن بها على ذريته، حيث أخبر انه تعالى امر الملائكة بالسجود لآدم). [٢٨]

نُقل عن الإمام الصادق انه قال :لما أن خلق الله آدم أمر الملائكة ان يسجدوا له فقالت الملائكة في أنفسها: ما كنا نظن ان الله خلق خلقاً أكرم عليه منا فنحن جيرانه وأقرب الخلق اليه، فقال الله : (ألم أقل لكم أني اعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فيما أبدوا من امر بني الجان وكتموا في أنفسهم، فلاذت الملائكة الذين قالوا ما قالوا بالعرش). [٢٩]

وقيل أنهم يلوذون حول العرش الى يوم القيامة يطوفون حوله يستغفرون الله تعالى عما قالوا. [٣٠]

عن محمد بن مروان انه قال :(سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : كنت مع ابي في الحج فبينا هو قائم يصلي اذ أتاه رجل فجلس اليه فلما انصرف سلَّم عليه ثم قال: إني أسألك عن ثلاثة أشياء لا يعلمها إلا أنت ورجل أخر ،قال :ماهي ؟ قال: اخبرني أي شيء كان سبب الطواف بهذا البيت ؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم ردت الملائكة فقالت :(أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (البقرة :٣٠)، فغضب عليهم ثم سألوه التوبة فأمرهم أن يطوفوا بالضراح وهو البيت المعمور ، فمكثوا به يطوفون به سبع سنين يستغفرون الله مما قالوا، ثم تاب عليهم من بعد ذلك ورضى عنهم، فكان هذا أصل الطواف، ثم جعل الله البيت الحرام حذاء الضراح توبة لمن أذنب من بني آدم، وطهوراً لهم ، فقال : صدقت ، ثم قام الرجل فقلت : من هذا الرجل يا ابة؟ فقال :يا بني هذا الخضر(ع). [٣١]

واذا تفحصنا قوله تعالى:(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ) (البقرة : ٣٤) نجد – وللوهلة الأولى – أن مسالة السجود لآدم جاءت بعد تجربة الملائكة الفاشلة في معرفة الأسماء التي علّمها المولى جل وعلا لآدم ، ولكن ما عليه الحال ان (السجود جاء مباشرة بعد نفخ الروح في الانسان) [٣٢]، وهذا ما دلت عليه الآيات (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (الحجر : ٢٩)، وكذلك قوله تعالى :(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (ص: ٢٧٢)، وثمة دليل آخر على ذلك هو(ان استجابة الملائكة لأمر الله بالسجود، لو كانت بعد اتضاح مكانة ادم، لما اعتُبرت مفخرة للملائكة) [٣٣].

ومهما كان أمر ذلك السجود فانه دليل وتقرير قرآني واضح صريح على شرف هذا المخلوق الذي يدعى الانسان وعظمة مكانته ، فكل الملائكة يؤمرون بالسجود له بعد اكتمال خِلقته، وهذا الحدث المهم – الأمر بالسجود – أحدث إنقلاباً في تغيير مجرى الأحداث ، فهذا ابليس الذي كان يعد من الملائكة أبى واستكبر (فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) (الكهف: ٥٠)، (فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ) (البقرة : ٣٤).

فمن يا ترى إبليس؟ ولماذا إستكبر؟

إبليس: اسم علم للشيطان الذي وسوس لآدم، وإبليس – كما صرح القران – ما كان من جنس الملائكة وان كان في صفوفهم ، بل كان من طائفة الجن وهي مخلوقات مادية.

وقد كان سبب امتناعه من السجود الكِبَر والغرور والتعصب الذي استولى عليه ، لأنه كان يعتقد أنه افضل من آدم، ولا ينبغي أن يصدر له امر بالسجود لآدم، بل ينبغي أن يؤمر آدم بالسجود له [٣٤]، فقال : (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (الأعراف : ١٢).

فكان ابليس أول من قاس فهلك واهلك من بعده من أتخذ القياس ديناً،ولقد رُفِض القياس في الأحكام والحقائق الدينية في أحاديث عدة وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، منها ما قاله الإمام الصادق لأبي حنيفة :(لا تقس، فان أول من قاس أبليس) [٣٥].

وبهذا يكون ابليس قد (تصور أن النار أفضل من التراب ، وهذه هي أكبر غلطاته وأخطائه، ولعله لم يقل ذلك عن خطأ والتباس ، بل كذب عن وعي وفهم ؛ لأننا نعلم ان التراب مصدر أنواع البركات، ومنبع جميع المواد الحياتية، واهم وسيلة لمواصلة الموجودات الحية حياتها، على حين ان الأمر بالنسبة الى النار ليس على هذا الشكل).[٣٦]

وعلى فرض ان مادة الشيطان الأصلية كانت افضل من مادة الانسان ، فان ذلك لا يدل على انه كان يحق له ان يستنكف عن الخضوع للإنسان وهو الذي خُلق بتلك الروح ووهبه الله تلك العظمة ، وجعله خليفةً له على الارض.

ونستطيع ان نستنتج من هذا التكليف الإلهي للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام نقاط عدّة:

١- ان الملائكة الذين هم من جِبِلّة خاصة وهم مفطورون على الخير المطلق والطاعة الكاملة قد كُلفوا بتعظيم الإنسان واحترامه، وهذا يدل على ان عنصر الخير في الإنسان هو الأساس، وانه لو وُفِّق من قبل المولى عزوجل واستعمل عنصر الخير هذا في الاتجاه الصحيح مع دفع المقاومة الجسدية والمادية والوقوف حائلاً أمام الشهوات والغرائز والمغريات الأرضية ، فانه عندئذٍ أقوى شكيمة من الملائكة وأكثر عزماً على مرضاة الله تبارك وتعالى واشد قرباً من الملائكة لجلال الله سبحانه وتعالى، وهذا ما صرح به الكثير من علمائنا وهو كون الانسان يفْضُل الملائكة ،واحتجوا بآيات قرآنية عديدة مصداقاً لذلك منها قوله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)(البينة : ٧) فكان محمدٌ واله الطيبين الطاهرين مصداقاً لذلك ، كذلك علياً عليه السلام وشيعته ،روى صاحب الدر المنثور عن ابن عباس قوله :(حين نزلت آية (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) قال رسول الله (ص) لعلي : هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين).[٣٧]

٢- ان هذا المخلوق – الإنسان – مفطور على الخير وان ما يصدر منه من شر فهو امر عارض أو نزوة جانبية، فبفطرته تعرّف على ربه، فهو يعي ربه في أعماق وجدانه، وأن كل الشكوك والجحود أمراض وإنحرافات من جبلة الإنسان الأولى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا) (الأعراف: ١٧٢)، قال تعالى: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) (الروم:٣٠) يقول الإمام الصادق :(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوادنه أو ينصرانه أو يمجسانه) [٣٨] وهذا ما رجُح عند العلماء .

٣- ان إباء ابليس عن السجود لآدم يعد عصياناً واستكباراً ، فاستحق به اللعنة والوصف بالكفر والعذاب الأليم والخلود في الجحيم ،وان جنده وذريته الذين يقلدونه فان مصيرهم مصيره .

٤- ان المشهد القرآني الذي وصف خضوع الملائكة للأمر الإلهي بالسجود لآدم ، ورفض ابليس ذلك ، هذا المشهد تمثيل لحجم الصراع الدائر اليوم وكل يوم بين الخير وأهله، والشر وأهله، وان الصورة واحدة والمشهد يتكرر كل يوم

المطلب الرابع: التكريم الرابع: تعليم آدم

تعليم آدم الأسماء كلها

أولا- معنى الأسماء:

بعد ان خلق الله سبحانه وتعالى الانسان ، خلق له الكون ليكون تحت تصرفه فقال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٩) أي انه سبحانه وتعالى خلق ما في الارض جميعاً للإنسان ، يأتي بعدها الأمر الرباني للملائكة :(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: ٣٠) فهذا الأمر يوضح مكانة الانسان المعنوية التي استحق بها كل هذه المواهب ، حينما شاء المولى عزوجل ان يخلق في الارض موجوداً ، يكون فيها خليفة ، ومنحه من المكانة ما يسمو بها على الملائكة، ولكن مثل هذا التكليف – تكليف الخلافة –لابد ان يكون هذا الموجود بحاجة الى قسط وافر من العقل والشعور والإدراك والكفاءة الخاصة ؛ كي يستطيع ان يتولى قيادة الموجودات الأرضية ، من هنا منحه العقل وعلمه الأسماء، فما هي تلك الأسماء؟

اختلف في هذه الأسماء ، فقال الآلوسي: (إنها أسماء الأشياء علوية أو سفلية جوهرية أو عرضية ، ويقال أنها أسماء الله تعالى [٣٩]، على حين نقل – أي الآلوسي- رأي غيره بقوله : وقال الإمام : المراد بالأسماء صفات الأشياء وتوقتها وخواصها، لأنها علامات دالة على ما هياتها، فجاز ان يعبر عنها بالأسماء ،وقيل : المراد بها اسماء ما كان وما يكون الى يوم القيامة، وعزى هذا الى ابن عباس (رض) ،وقيل :(اللغات، وقيل: اسماء الملائكة، وقيل: اسماء النجوم) [٤٠].

وقد وردت عن الإمامية عدة روايات منها ما ذهبت الى نفس المعنى الذي ذهب اليه الالوسي وغيره ، ومنها ما ذهب الى غير ذلك ، من ذلك ما رواه العياشي عن الفضيل بن العباس عن الإمام الصادق (ع) انه قال : سألته عن قول الله :(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) ماذا علمه ؟ قال: (الارضين ، والجبال ،والشعاب والأودية ثم نظر الى بساط تحته فقال : وهذا البساط مما علمه) [٤١].

على حين ذهبت الرواية الأخرى والتي هي ايضا عن الإمام الصادق الى غير هذا في تفسير هذه الآية (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) اذ يقول : (ان الله عز وجل علم ادم أسماء حججه كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال :أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين بأنكم أحق بالخلافة في الارض لتسبيحكم وتقديسكم من ادم فقالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت الحكيم العليم، قال الله تبارك وتعالى: (يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله عز ذكره فعلموا إنهم أحق ان يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته ثم غيبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم وقال لهم: (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ))[٤٢].

وهذه التفاسير المختلفة لمعنى الأسماء لا يمنع ان تكون جميعها صحيحة لاسيما وان الآية (وعلم ادم الأسماء كلها) متضمنة على (كل) التي تفيد العموم ، فيمكن ان يكون ادم قد تلقى عن الله تعلم أسماء كل ما قد سبق، ولكن الرواية الثانية يمكن ان تكون اقرب الى المعنى المطلوب ، وذلك كون إن (هذه الأسماء أو مسمياتها كانوا موجودات أحياء عقلاء ، محجوبين تحت حجاب الغيب، وان العلم بأسمائهم كان غير نحو العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء ، وإلا كانت الملائكة بإنباء آدم إياهم بها عالمين وصائرين مثل آدم مساوين معه، ولم يكن في ذلك إكرام لآدم ولا كرامة حيث علمه سبحانه أسماء ولم يعلمهم ، ولو علمهم إياها كانوا مثل آدم أو أشرف منه، ولم يكن في ذلك ما يقنعهم أو يبطل حجتهم ،وأي حجة تتم في أن يعلم الله تعالى رجلاً على اللغة ثم يباهي به ويتم الحجة على

ملائكة مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون بأن هذا خليفتي وقابل لكرامتي دونكم ويقول تعالى أنبئوني باللغات التي سوف يضعها الآدميون بينهم للإفهام والتفهيم إن كنتم صادقين في دعواكم أو مسألتكم خلافتي)[٤٣]

ثانيا- تفضيل الإنسان على الملائكة:

كان الملائكة على يقين من أن الهدف من الخلقة هو العبودية والطاعة ، كذلك كانوا يظنون أنهم مصداق كامل لذلك ، فهم في العبادة غارقون؛ ولذلك فهم – أكثر من غيرهم- للخلافة لائقون ، لكن خفي عنهم (ان بين عبادة الإنسان المليء بألوان الشهوات ، والمحاط بأشكال الوساوس الشيطانية وعبادتهم، وهم خالون من كل هذه المؤثرات ، بوناً شاسعاً، اين عبادة هذا الموجود الكائن في وسط الأمواج العاتية من عبادة تلك الموجودات التي تعيش على ساحل آمن ؟!؛ لذا فان قوله تعالى لهم بعد ان علم آدم الأسماء كلها :(أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (البقرة : ٣٠-٣٢) جاء في مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما أختصه من علم أسماء كل شيء دونهم)[٤٤]، مما أدى ذلك الى تراجع الملائكة؛ لأنهم لم يملكوا القدرة العلمية التي منّها الله لآدم. من هنا (أدركت الملائكة تلك القدرة التي يحملها آدم، التي تجعله لائقاً لخلافة الله في الأرض وفهمت مكانة هذا الكائن في الوجود)[٤٥].

عندئذ أُذِن لآدم بأن يقوم بشرح أسماء الموجودات وأسرارها أمام الملائكة :(قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) (البقرة : ٣٣).

فاستيقنت الملائكة حينها ان هذا الموجود وحده اللائق لإستخلاف الارض، بعد ان ظنوا (بانهم أليق من غيرهم للخلافة الالهية على الارض، فهم اشاروا الى مثل هذا الاعتقاد ولم يصرحوا به) [٤٦]؛ لذا قال تعالى لهم: (وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)، وقد استوعب الملائكة ذلك الدرس الرباني ، فسجدوا لآدم بعد الأمر الإلهي، فكان سجودهم (على وجه التحية والتكرمة ، تعظيماً له واعترافاً لفضله ، واعتذاراً عما قالوا فيه ، وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم (عليه السلام) هو سجود تعظيم وتسلية، وتحية ، لا سجود عبادة)[٤٧].

قال مولى الموحدين أمير المؤمنين (ع): (واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم ،وعهد وصيته إليهم في الإذعان والسجود له، والخشوع لتكرمته ، فقال سبحانه وتعالى: (اسجدوا لآدم) (البقرة :٣٤) ، فهنا يشير الإمام (ع) الى معنى في غاية العمق والأهمية ، فالملائكة الذين هم: (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) (الأنبياء : ٢٦-٢٧) أقل رتبة من الإنسان ؛ لأن الله تعالى جعلهم وعهد اليهم بوصية في الخضوع والإذعان والسجود لتكريم الإنسان ،فسجود الملائكة في القران كناية تفصح عن مستوى الإنسان عند الله تعالى. فكان على الإنسان أن يعي أنه يتمتع بكرامة ذاتية وشرف ذاتي، فقد فضّله الله على كثير من خلقه، فعليه أن يتفهم واقعه ويشعر به عندما يتفهم هذه الكرامة ويشعر بها، ويعد نفسه أسمى من الدناءات والرذائل والشهوات والقيود.

وعليه، فكان على الانسان ان يعي انه يتمتع بكرامة وشرف ذاتيين، فقد فضله الله على كثير من خلقه، فمسؤوليته ان يتفهم واقعه ويشعر به عندما يتفهم هذه الكرامة ويشعر بها، ويعد نفسه اسمى من الدناءات والرذائل والشهوات والقيود.

المطلب الخامس: التكريم الخامس: خلافة الإنسان في الأرض

اولاً: آدم في الجنة:

لقد شاء المولى عزوجل أن يختار للإنسان عمارة الأرض، بعد أن انزله إليها، وكان قبل هذا – أي آدم (عليه السلام) – في الجنة في ارغد عيش وأهنئه .

فقد حكى لنا القرآن قصة خلقهِ لآدم (ع) والذي خصه الله بالإكرام والتفضيل .

فكان بداية خلقه من التراب الذي هو أصل الإنسان ومادته التي يتكون منها ، ومصدر نشأته فقال عز من قال :(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ) (الروم:٢٠) وعليه فان الأرض هي مادة خلق الإنسان،وعناصرها هي مكونات جسمه ومختلف أجهزته العضوية .

فهذا التراب ليس فيه نور ولا حرارة ، ولاجمال ، ولا طراوة ،ولاحس ولا حركة ، إلا انه في الوقت ذاته عجينة الإنسانية .

روي عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله (ص) :(ان الله عزوجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض) [٤٨].

وبعد ان خلقه اسكنه الجنة ،وقد سئل الإمام الصادق عن تلك الجنة فقال (ع): (جنة من جنان الدنيا تطلع منها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبدا)[٤٩].

وقد وقع الخلاف بين علماء المسلمين في أن جنة آدم (ع) هل كانت في الأرض أم في السماء، وعلى القول الثاني هل هي جنة الخلد والجزاء أو غيرها؟

(ذهب أكثر المفسرين وجمهور المعتزلة الى أنها جنة الخلد وهو ظاهر أكثر علمائنا (رض)، وقال أبو هاشم: جنة من جنان الدنيا غير جنة الخلد ، وذهبت طائفة من علماء المسلمين الى أنها بستان من بساتين الدنيا في الأرض كما دل عليه الخبر)[٥٠].

وقد امر الله تعالى ان يسكن هذه الجنة فقال له :(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ) (الأعراف : ٢٠) ، (ويستفاد من هذه العبارة ان آدم وحواء لم يكونا في بدء الخلقة في الجنة ، إنما خلقا أولاً ثم هُديا الى السكنى في الجنة، وان القرائن تفيد ان تلك الجنة لم تكن جنة القيامة، بل هي – كما ورد من أحاديث أهل البيت (ع) أيضاً – جنة الدنيا ، أي أنها كانت بستاناً جميلاً أخضر من بساتين هذا العالم وفّر الله سبحانه فيها جميع أنواع النعم والخيرات)[٥١].

فكان كما حكى القران :(فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنْ النَّاصِحِينَ)(الأعراف :٢٠).

وروي عن الإمام الصادق (ع) انه قال :(لما خرج آدم من الجنة نزل جبرئيل (ع) فقال : يا آدم أليس الله خلقك بيده فنفخ فيك من روحه واسجد لك الملائكة وزوجك حواء أمته واسكنك الجنة وأباحها لك ونهاك مشافهة أن لا تأكل من هذه الشجرة فأكلت منها وعصيت الله ، فقال آدم (ع): (يا جبريل إن ابليس حلف لي بالله انه لي ناصح فما ظننت إن احداً من خلق الله يحلف بالله كذباً[٥٢].

وبعد إن أكلا من الشجرة المنهي عن الأكل منها :(فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) (الأعراف : ٢٢).

يقول الإمام الصادق بعدما سئل عن معنى قوله تعالى :(بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا)قال (ع): (كانت سوءاتهما لا تبدو لهما يعني كانت داخلة – مستترة-)[٥٣].

ويستفاد من ذلك أنهما مجرد ان ذاقا ثمرة الشجرة الممنوعة أصيبا بهذه العاقبة المشؤومة، وفي الحقيقة جردا من لباس الجنة الذي هو لباس الكرامة الإلهية لهما [٥٤].

عند ذلك اخرجا من جنتهما التي كانا فيها، وقد تنبه صاحب الامثل الى انه تعالى عندما قال: (يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ) (الأعراف :١٩) استعمل كلمة (هذه) للدلالة على القرب ، لكنهما بعد ان عصيا الله تعالى أختلف النداء فقال لهما (أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) (الأعراف : ٢٢) ففي مجال المقايسة تبين إن هذه الآية والآية الأولى التي أجاز الله فيها لآدم وحواء ان يسكنا الجنة ، يستفاد بوضوح انهما بعد هذه المعصية كم ابتعدا عن مقام القرب الإلهي ، لأنه في الآية السابقة تمت الإشارة الى الشجرة بأدلة الإشارة القريبة (هذه الشجرة) ، وإما في هذه الآية فقد استعملت فضلا عن الى كلمة (نادى) التي هي للخطاب من بعيد، استعملت كلمة (تلكما) التي هي للإشارة الى البعيد) [٥٥].إي ناداهما من بعيد بعد ان أخرجهما من الجنة .

وبعد ان طلبا من الله الغفران عما بدَر منهما اذ قالا:(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف:٢٣) جاء النداء الرباني بقبول تلك التوبة ، ولكن بشرط الخروج من الجنة، اذ قال :(اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (الأعراف :٢٤).

نقل العلامة ابن بابويه القمي في أماليه:(انه جاء نفر من اليهود الى رسول الله (ص)وطرحوا عليه عدة أسئلة كان من ضمنها قال له :فاخبرني عن الله لأي شيء وقت هذه الخمس الصلوات في خمس مواقيت على أمتك في ساعات الليل والنهار ، قال النبي (ص): إن الشمس اذا طلعت عند الزوال لها حلقة تدخل فيها، فإذا دخلت فيها زالت الشمس فيسبح كل شيء دون العرش ، لوجه ربي وهي الساعة التي يصلي عليَّ فيها ربي ففرض الله عزوجل عليَّ وعلى أمتي فيها الصلاة ، وقال :(أَقِمْ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) وهي الساعة التي يؤتى فيهم بجهنم يوم القيامة ،فما من مؤمن يوفق تلك الساعة ان يكون ساجداً أو راكعاً أو قائماً إلا حرم الله عزوجل جسده على النار ، وأما صلاة العصر فهي الساعة التي أكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله عن الجنة فأمر الله ذريته بهذه الصلاة الى يوم القيامة واختارها لأمتي فهي من أحب الصلاة الى الله عزوجل وأوصاني أن أحفظها من بين الصلوات ، وأما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم ،وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا وفي أيام الآخرة يوم كألف سنة من وقت صلاة العصر الى العشاء فصلى آدم ثلاث ركعات ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حواء وركعة لتوبته فافترض الله عزوجل هذه الثلاثة الركعات على أمتي وهي الساعة التي يستجاب فيها الدعاء .... الى ان قال : فاخبرني لأي شيء يتوضأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد ، قال النبي (ص) لما إن وسوس الشيطان لآدم ودنى آدم من الشجرة ونظر اليها ذهب ماء وجهه ثم قام وهو أول قدم مشت الى الخطيئة ثم تناول بيده ثم مسها فأكل منها فطار الحلى والحلل عن جسده ثم وضع يده على أم رأسه وبكى ، فلما تاب الله عزوجل عليه فرض الله عزوجل وعلى ذريته الوضوء على هذه الجوارح الأربع وأمره إن يغسل الوجه لما نظر الى الشجرة وأمره بغسل الساعدين الى المرفقين لما تناول منها وأمر بمسح الرأس لما وضع يده على رأسه وأمره بمسح القدمين لما مشى الى الخطيئة ثم سنَّ على أمتي المضمضة لتنقي القلب من الحرام...)[٥٦].

ثانياً: هبوط آدم الى الدنيا:

بعد إن أخرج ابليس من الجنة وباء بغضب من الله بعد رفضه السجود لآدم تنفيذاً للأمر الإلهي صمم أن ينتقم لنفسه من ذلك المخلوق ومن بنيه، وسعى في إضلالهم ما استطاع،وقد علم مسبقاً ان الأكل من هذه الشجرة – المنهي عنها- سيخرج ادم من الجنة، وقد نجح في مسعاه، بعد ان عرف ان الإنسان يحب التكامل والرقي والحياة الخالدة فقال :(يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى) (طه:١٢٠) فعن الإمام الرضا (ع) انه قال: (فجاء ابليس فقال : إنكما ان أكلتما من هذه الشجرة التي نهاكما الله عنها صرتما ملكين وبقيتما في الجنة ابداً، وان لم تأكلا أخرجكما الله من الجنة)[٥٧].

وبعد أن أكلا وخالفا المولى عزوجل تابا واستغفرا من ذنبهما قال لهما المولى:(اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة:٣٨) ، أي أمروا بمغادرة الجنة ، وشمل هذا الأمر الشيطان ايضاً :(قال اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (الأعراف :٢٤).

في حين ذهب بعض المفسرين الى ان المخاطب بالآية :(هم مجرد آدم وحواء ،لأنهما هما اللذان يخرجان من الأرض) لأنهما وحدهما من ابتعدا عن مقام القرب من الله،ووحدهما من مثل سقوط الإنسان عن مكانته الإنسانية السامية ، فاخرجا من جنة الأمن والطمأنينة، ووقعا في دوامة الحياة المادية المضنية [٥٨].

نقل عن ابن مسعود انه سئل عن الأيام البيض ما سببها قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : إن آدم لما عصى ربه عزوجل ناداه مناد من لدن العرش يآدم اخرج من جواري فانه لا يجاورني احد عصاني فبكى وبكت الملائكة فبعث الله عزوجل جبرئيل فاهبطه الى الأرض مسوداً فلما رأته الملائكة ضجت وبكت وانتحبت ، وقالت يا رب خلقاً خلقته ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملائكتك فبذنب واحد حولت بياضه سواداً فنادى مناد من السماء صم لربك اليوم فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر فذهب ثلث السواد ثم نودي في اليوم الرابع عشر ان صم لربك فصام فذهب ثلثا السواد ثم نودي يوم الخامس عشر بالصيام فصام وقد ذهب السواد كله فسميت ايام البيض الذي رد الله فيه على آدم بياضه ثم نادى مناد من السماء يا آدم هذه الثلاثة ايام جعلتها لك ولولدك من صامها في كل شهر كأنما صام الشهر ثم قال : فأصبح آدم وله لحية سوداء كالحمم فصرف يده إليها فقال : يا رب ما هذه فقال هذه اللحية زينتك بها أنت وذكور ولدك الى يوم القيامة)[٥٩] ليكون بعد هبوطهما التكريم الإلهي الارضي الذي كان هو الآخر متمم للتكريم الإلهي في الجنة .

ثالثاً: خلافته في الأرض:

الخلافة هي: (النيابة عن الغير أما لغيبة المنوب عنه، وأما لموته، وأما لعجزه، وأما لتشريف المستخلف على هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياء في الأرض)[٦٠].

والخليفة في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة ٣٠) هو النائب عن الغير، وهذه الآية (تدل بوضوح كامل على أن الخلافة لم تكن منحصرة في فرد واحد من النوع الإنساني وهو آدم (ع) بل هي تشمل جميع أبناء البشرية بدليل انه بعدما قال الله سبحانه: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) سأل الملائكة بقولهم: (أتجعل فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ

نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ) مظهرين بذلك ان الخليفة المزمع استخلافه في الأرض سيركب الفساد ويسفك الدماء، ومن المعلوم ان هذا العمل لم يكن صادراً من الإنسان الشخصي المتمثل في ادم (ع) بل من أبنائه وأبناء أبنائه الذين طالما اقترفوا الذنوب وارتكبوا المعاصي)[٦١].

أما الغير الذي ينوب الإنسان عنه فاختلف فيه عند المفسرين على أقوال:

أ- منهم من قال: انه خليفة الملائكة الذين كانوا يسكنون من قبل على ظهر الأرض[٦٢].

ب- عن الحسن البصري قال : ان الخليفة اشارة الى ان كل جيل من البشر يخلف الجيل السابق[٦٣].

ج- قال ابن عباس: انه كان في الأرض الجن فافسدوا فيها ،وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل الله آدم وذريته بدلهم [٦٤] والى هذا ذهب البغوي [٦٥].

د- والذي عليه اغلب المفسرين إنما كانت خلافة الله تعالى لا خلافة نوع من الموجود الأرضي كان في الأرض قبل الإنسان ، وانقرضوا ثم أراد الله تعالى ان يخلفهم بالإنسان)[٦٦].

وهذا النوع من الخلافة دل عليه سؤال الملائكة بشأن هذا الموجود الذي قد يفسد في الأرض ويسفك الدماء يتناسب مع هذا المعنى؛ لان نيابة الله في الأرض لاتتناسب مع الفساد وسفك الدماء [٦٧].

وعندما فهم الملائكة معنى هذا التكريم ، قالوا :(أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا) (البقرة : ٣٠) وكلامهم هذا في نظر بعض المفسرين نابع من :

١- ان خلقاً يقال لهم الجان كانوا في الأرض فافسدوا فيها فبعث الله الملائكة أجلتهم من الارض وكان هؤلاء الملائكة سكان الارض من بعدهم [٦٨].

وإنهم أخبروا بذلك عن ظنهم وتوهمهم متصورين انه اذا استخلف غيرهم كانوا مثلهم .

٢- أنهم إنما قالوا ذلك لا على نحو الظن بل (أنهم قالوه يقيناً لأن الله كان أخبرهم أنه يستخلف في الارض من يفسد فيها ويسفك الدماء فأجابوه بعد علمهم بذلك بان قالوا: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) (البقرة : ٣٠) وإنما قالوه لعلمهم كيف يفسدون فيها ويسفكون الدماء، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها فقال :(إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (البقرة:٣٠) [٦٩].

٣- أنهم إنما قالوا (قالوا ذلك متعجبين) من استخلافه لهم أي كيف يستخلفهم وقد علم أنهم (يفسدون فيها ويسفكون الدماء): (قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [٧٠].

٤- أنهم أي الملائكة (فهموا ذلك من خلال عبارة (في الارض) لأنهم علموا ان هذا الإنسان يخلق من تراب ، والمادة لمحدوديتها هي حتماً مركز للتنافس والنزاع ، وهذا العالم المحدود المادي لا يستطيع ان يشبع طبيعة الحرص في الانسان ، وهذه الدنيا لو وضعت بأجمعها في فم الانسان فقد لا تشبعه، وهذا الوضع- ان لم يقترن بالالتزام والشعور بالمسؤولية – يؤدي الى الفساد وسفك الدماء)[٧١].

وأياً كانت التوقعات يبقى الأمر متعلقاً بأن هذا جزء من مختلف الكرامات التي سوف يغدقها المولى عز وجل على هذا المخلوق .

يقول ابن عاشور: ان قوله تعالى :(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) هذا كلام موجه الى الملائكة على وجه الإخبار ، ليسوقهم الى معرفة فضل الجنس الإنساني على وجه يزيل ما علم الله انه في نفوسهم من سوء الظن بهذا الجنس) [٧٢].

وبهذا تكون الكرامة التي جعل الله الملائكة تسجد للإنسان لم تأتِ عبثاً واعتباطاً بل لكون الانسان خليفة له تعالى ، يقول البغوي : (والصحيح انه خليفة الله في أرضه،لإقامة أحكامه ووصاياه)[٧٣]؛ لذا فانه تعالى أسبغ عظمته وجلاله على الوجود الإنساني ، فقوله تعالى: (ونفخ فيه من روحه) (السجدة:٩) كناية عن جعل الانسان بمستوى من الكمال يستحق به التجلة والاحترام حتى من

الملائكة، غير ان ظلم الانسان لنفسه يتخطى المنهاج الإلهي، واختيار المنهاج المخالف لم يؤد به الى السعادة وإتباع الصراط المستقيم (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الانعام:١٥٣).
وعليه فان خلقة الانسان مدروسة ولم تكن صدفة، والانسان موجود مصطفى ومنتخب: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدى) (طه: ١٢٢)، وله شخصية حرة مستقلة، فهو أمين الله وله رسالة وعليه مسؤولية؛ لذلك طلب المولى منه أن يعمر الأرض بعمله وإبداعه وأن يختار أحد الطريقين: السعادة والشقاء: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (الأحزاب: ٧٢)، فهذا الإنسان يتمتع بضمير اخلاقي يدرك القبيح والجميل بحكم الالهام الفطري: (وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها (٧) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها) (الشمس: ٧-٨).
ومن هنا فان خلقة الانسان مدروسة، ولم تكن صدفة، والانسان موجود مصطفى ومنتخب (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدى)(طه:١٢٢) وله شخصية حرة مستقلة، فهو امين الله وله رسالة وعليه مسؤولية؛ لذلك طلب المولى منه ان يعمر الارض بعلمه وابداعه وان يختار احد الطريقين: السعادة او الشقاء(إِنَّا عَرَضْنَا الأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً)(الاحزاب٧٢)، فهذا الانسان يتمتع بضمير اخلاقي يدرك القبيح والجميل بحكم الالهام الفطري(وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها)(الشمس:٨)

المطلب السادس: التكريم السادس: تفضيل الإنسان على المخلوقات وتسخيرها له

<u>اولاً: تفضيلهُ على المخلوقات:</u>

ومن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان، تصريحه وتنويهه بذلك التفضيل والتكريم في عدة أماكن من القران الكريم من، ذلك قوله تعالى:
(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء : ٧٠).
فمن أوجه هذا التفضيل:
<u>١- وهبه العقل:</u> والعقل هو (القوة المتهيئة لقبول العلم،ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل) [٧٤]، قال رسول الله (ص): (ما قسم الله للعباد شيئاً افضل من العقل)[٧٥].
وقال (ص): (لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب اليّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب) [٧٦].
والعقل يمثل التسامي والتفكير والوعي والإدراك والاختيار والحرية في الأمور، وبدون العقل لا يستطيع الإنسان القيام بمهمة خلافة الله، وقد برزت مقومات التفضيل التكريمي من خلال المعرفة التي شاء الله أن يودع منها عقل الإنسان مالم يشأ أن يودعه عقل الملائكة ، فالإنسان يعرف ما لا تعرفه الملائكة، والمعرفة كرامة وتفضل،(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) (البقرة: ٣١-٣٣).
وبالعقل الذي هو أعظم الكمال الإنساني صار الإنسان مكلفاً ومسؤولاً، وبه امتاز عن سائر العجماوات التي حرمها الله من هذه النعمة، فبالعقل نال- اي الانسان - االعلوم والمعارف، وبه عرف الشرائع والقوانين والأحكام ،وبها اهتدى نحو تحقيق الفضائل والكمالات .
٢- وهبه الروح: وقد وهبها المولى عزوجل للإنسان، إذ قال تعالى: (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) (السجدة:٩) ليتدرج الانسان في مرافيء الكمال والرفعة ، ويتعلق أمله بالله وتستمر روح الانسان بعد وفاتهِ محلقة في عالم الأرواح.
٣- وهبه الجسد: (الجسد كالجسم لكنه أخص ، قال الخليل: لا يقال الجسد لغير الانسان من خلق الارض ونحوه، وأيضاً فإن الجسد له لون ، والجسم يقال لما لا يبين له لون كالماء والهواء)[٧٧]، وهو من (المادة وما فيها من شهوات وغرائز وميول يشترك فيها الانسان مع بعض المخلوقات التي تقتصر عليها احياناً (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) (ص: ٧١)[٧٨] .
وهذه العناصر الثلاثة – العقل والروح والجسد– قد خلق الله سبحانه وتعالى بينها الانسجام الكامل ، وأقام بينها التوازن العادل في الانسان القويم،وان أي انحراف أو خلل في هذه العناصر يؤدي الى الشذوذ من جهة وتعطيل جانب أساسي من عناصر الانسان من جهة أخرى ، فقال تعالى: (... الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) (الانفطار:٧-٨)، يقول الكسيس كارل واصفاً قدرات الانسان: (ان جسم الانسان من المتانة والإحكام والدقة بحيث أنه يقاوم كل أشكال التعب والعقبات التي يتعرض لها الوجود الانساني، من قلّة غذاء، وسهر وتعب، وهموم زائدة، وأشكال المرض والألم والمعاناة، وهو في ثباته ومقاومته للأشكال آنفة الذكر يبدي إستعداداً استثنائياً يبعث على الحيرة والعجب، حتّى اننا نستطيع أن نقول: ان الوجود الانساني في تكوينه الروحي الجسدي هو اثبت الموجودات من ذوي الارواح واكثرها نشاطاً واستعداداً في مضمار الفاعلية الفكرية والجسدية التي يتضمنها والتي ادت الى تشييد المدنية الراهنة بكل مظاهرها)[٧٩].
لكنه – الإنسان- عندما يرحل عن هذا العالم وينكشف عنه ستار البدن الذي هو حجاب الروح تتضح له العديد من الحقائق التي تكون اليوم عليه خفية: (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)(ق: ٢٢).
ثانياً : تسخير المخلوقات له:
وهذا ايضاً من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان، فانه تعالى قد سخر له ما في الكون، ومكنه من استغلاله على الوجه الذي ينتفع به ، واقدره على ذلك ، بل أمره بالسعي لطلب هذه المسخرات، وامتن عليهم بها، فقال عز من قائل :(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) (لقمان : ٢٠) .
وقال ايضاً : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك :١٥) .
وقال ايضاً:(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا) (البقرة : ٢٩) .
وكلمة (لكم) كما يقول المفسرون:(لأجلكم ولانتفاعكم)[٨٠] ، فالله تعالى سخر هذا الكون للإنسان لتحقيق رفاهيته، وتأمين سعادته، وتدبير أسباب العيش ، وجني خيرات الأرض، واستخراج دفائنها، بما يحقق المصلحة والنفع ، ويتجه بها نحو الخير والصلاح . قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ)(الجاثية : ١٣).

يقول السعدي:(أي من فضله وإحسانه، وهذا شامل لإجرام السموات والأرض، ولما أودع الله فيهما، من الشمس والقمر ، والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمرات، وأجناس المعادن ،وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ،ومصالح ما هو من ضروریاته.[٨١]

ليس هذا وحده بل(حتى الحالات العرضية ،هي في خدمتكم:(وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا) (إبراهيم :٣٣-٣٤)؛ لان النعم المادية والمعنوية للخالق شملت جميع وجودكم وهي غير قابلة للإحصاء، وعلاوة على ذلك فان ما تعلمونه من النعم أقل بكثير ممالا تعلمونه) [٨٢].

وعلى الرغم من هذه الألطاف إلا(إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم:٣٣) (فلو كان الانسان يستفيد من هذه النعم بشكلها الصحيح لاستطاع ان يجعل الدنيا حديقة غناء ولنفذ مشروع المدينة الفاضلة ، ولكن على اثر الاستفادة غير الصحيحة لها أصبحت حياته مظلمة، وأهدافه غير سامية، ومشاكلها الصعبة قيدته بالسلاسل والأغلال)[٨٣]؛ وذلك لأنه نسى تكريم الله له ، نسي المنهج الذي اذا صار عليه ظل كريماً كأبيه آدم بعد أن اجتباه الله وهداه، وإذا خالفه أهانه وأضاع قول الله تعالى:(وَمَنْ يُهِنْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ)(الحج :١٨)، فقد طلب منه تعالى ان يعبده وحده لا شريك له وجعل الهدف من خلقه هو هذا :(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات :٥٦) وجعل شديد العقوبة بل اشد العقوبة على الإطلاق ان يعبد هذا الانسان غير الله، فقال عز وجل :(إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء : ٤٨)، ولكن الانسان – إلا من رحم ربي- قد حاد عن هذا المنهج وسلك سبيل الغواية والضلال فاستغنى بالمخلوق عن الخالق ، وبالضلالة عن الهداية ، وبالباطل عن الحق ، فنزل بذلك من مرتبة الإنسانية الى مرتبة الحيوانية .

وبعد هذا التطواف السريع في بيان أوجه تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان، لابد من الإشارة الى أن هذه الفضيلة للإنسان توجب عليه– عقلاً وشرعاً– ان يعرف :-

١- ان الله هو الذي أسدى اليه هذه النعم وأفاضها عليه .

٢- انه لا يحق له ان يستعمل هذه النعم إلا في طاعة الله وفيما يعود عليه وعلى الإنسانية جمعاء بالخير والنفع .

٣- ان يحمد الله ويثني عليه بلسانه كتعبير عن اعترافه بالجميل لصاحب الجميل، أما فيما يخص نفسه – التي لا يجب ان تهون عليه – فيجب عليه:

أ- ان يعرف قدرها وانه شيء كبير في هذه الدنيا، وان له رسالة يجب عليه ان يؤديها ويحافظ عليها .

ب- اذا عرف قدر نفسه حفظ عقله وطهّره من الشكوك والأوهام والخرافة

ج- يجب عليه ان يتشبث بالحقائق التي قام عليها البرهان .

د- يجب عليه ان يحفظ نفسه من الرذائل والنقائص الخلقية وان يتحلى بأكرم الصفات .

ومتى ما تحقق ذلك ارتفعت قيمة الانسان ، ووصل المكانة الرفيعة الجديرة به كخليفة من الله في الارض .

وأخيرا نقول: ان الانسان وان خُلق من تراب الا انه في ظل النهج الالهي مكرم محترم الجانب، قد اسجد له ملائكته على مكانتهم الرفيعة، وسخر له مختلف القوي لاستثمارها في تنمية حياته وترقيتها، فاي كرامة اسمى من هذه الكرامة التي تمنحها الثقة بالنفس(بلا غرور) وتفجر فيه

الطاقات وتنيط به حمل الامانة؟ واين منها نظريات التطوريين امثال(لامارك)و(دارون) التي تكرس عقدة الحقارة والامتهان في النفس الانسانية.

****

ـــــــــ نتائج البحث ـــــــــ

وفي الختام لابد من الوقوف على أهم ما توصل اليه البحث من نتائج:

١- ان تكريم الانسان الاول الذي هو آدم (ع) أصبحت الإشارة اليه في حد ذاتها مظهر من مظاهر تكريم بني آدم ، أي ان الله عزوجل حين قال :(ولقد كرمنا بني آدم) (الإسراء: ٧٠) ولم يقل : ولقد كرمنا الناس أو (البشر) أو الانسان فهو إشعار لهم بأنهم أبناء ذلك المخلوق الاول ذي النعم المذكورة باعتباره الأصل الإنساني.

٢- ان الانسان الذي تحدث عنه القرآن لم يكن ذلك الحيوان المستقيم القامة الذي له اظافر عريضة ويمشي على قدمين ويتكلم فقط، بل أن هذا الموجود في نظر القرآن أعمق وأكثر غموضاً من أن يمكن تعريفه بكلمات بسيطة، فهذا الإنسان قد مدحه القرآن وأثنى عليه كثيراً، وذمّه ووبخه ايضاً ولكنه مع ذلك فضله على السماء والارض والملائكة، ورفعه على مستوى الانعام؛ فهو موجود له القدرة على تسخير عالمه واستخدام الملائكة لنفسه، ويمكن ان ينزل الى أسفل سافلين؛ لذا فهو المخاطب أولاً وأخيراً بأن يقرر مصيره.

٣- ان مظاهر التكريم الإلهي قد تنوعت ما بين:

أ- خلقه في أحسن تقويم .

ب- نفخ الروح فيه .

ج- امر الملائكة بالسجود له .

د- تعليم آدم الأسماء كلها .

هـ- جعل الانسان خليفة في الارض .

و- تفضيل الانسان على كثير من المخلوقات .

ز- تسخير المخلوقات للإنسان .

٤- ان الصراع بين الخير والشر قد أوقدت شرارته الأولى منذ اليوم الاول الذي رفض الشيطان السجود لآدم (ع).

٥- ان الله سبحانه وتعالى عندما خلق الانسان ومنحه تلك الكرامات، إنما لأجل ان يعبده ولا يشرك به شيئاً، وان كانت كرامته قد شملت برهم وفاجرهم ومؤمنهم ومشركهم.

٦- ان على الانسان مقابل هذا التكريم الإلهي ان يشكر المولى عزوجل لأنه المنعم والمكرم له، فإن ظرفية الانسان العلمية هي اكبر ظرفية يمكن ان تكون لمخلوق: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٣١) قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ) (البقرة: ٣٠-٣٣).

٧- تَكَوّن جسم الانسان من قوى مختلفة، مادية، معنوية، جسمية وروحية، وينمو وسط المتضادات، وله استعدادات غير محدودة للتكامل والتقدم، يقول الإمام علي (ع): (ان الله عز وجل ركّب في

الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم)[٨٤].
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الملخّص

كرّم الله سبحانه وتعالى آدم، ومن ثمّ ذريته من بعده، وقد تنوّعت مظاهر التكريم الإلهي ما بين خَلقه في أحسن تقويم، ثم النفخ فيه.. إلى أمر الملائكة بالسجود له، ثم يعلِّم آدم الأسماء كلّها، وأهم تلك المظاهر التكريمية أن جعله خليفة في الأرض له تعالى ليقيم أحكام الله تعالى عليها، بعد أن فضّله على كثير من المخلوقات وذلك بتسخيرها له، وهذا إن نمَّ على شيء فإنما ينم على مدى المكانة التي أعطاها الله تعالى للإنسان.

****

Abstract:

Allah is deigned Adam and his progeny after him, and the types of this deigning are diverse between create him in better of the creation, and between bilging in him, to order the angels to genuflection to him - Adam -, then Adam teach the angels all the names, and the most important of these deigning appearances that He (Allah) make him successor in the earth to raise Allah's judgments on it , after He (Allah) prefer him on much of the creatures, and exploitation to him, and this is show the standing which Allah gave it to the human.

قائمة الهوامش

القرآن الكريم خير ما نبتدأ به

١- أنظر : لسان العرب: ابن منظور، ١٢/٧٥-٧٨
٢- أنظر: مفردات ألفاظ القران: الراغب الأصفهاني ، ص٦٣٩
٣- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل:ناصر مكارم الشيرازي،٢/ ٢٨٦.
٤- المصدر نفسه ،٢/ ٢٨٦.
٥- الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي ، ٢٠/ ٤٥٦ .
٦- الامثل :ناصر مكارم الشيرازي ،١٥/٢٨٣.
٧- المصدر نفسه ،١٥/٢٨٤.
٨- نظرية التطور الدارونية، خرافة بإسم العِلم : طالب الجنابي، ص٨.
٩- نقلاً عن الميزان ١٣/ ١٦٩-١٧٠.
١٠- المصدر نفسه،١٣/ ١٦٩-١٧٠.
١١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : المتقي الهندي ، المجلد (٦) ج١١-١٢ ص٨٧،
١٢- أنظر مفردات ألفاظ القران: الراغب الاصفهاني، ص٨١٦ .
١٣- الميزان: الطباطبائي١٢ /١٦١.
١٤- الوسيط في تفسير القرآن المجيد : الواحدي، ٣/ ٤٥ .
١٥- معالم خلق الانسان في القرآن الكريم، عبود مزهر الراضي، ص٢٦ .
١٦- تفسير العياشي : العياشي ،١/٢٤١.

١٧- معاني الأخبار : الصدوق،١٧.
١٨- الكافي : الكليني،١٣٤/١
١٩- كنز العمال : المتقي الهندي ١/ ٨٦-٨٧.
٢٠- ذكر في سور ة البقرة في الآيات ٣٠-٣١-٣٤ ،الاعراف ١١، الحجر : ٣٠ ، الإسراء: ٦١، الكهف :٥٠ ، طه : ١١٦ .
٢١- التطامن: الاغناء .
٢٢- مفردات ألفاظ القرآن:الراغب الأصفهاني، ص٣٩٦ ، مادة سجد.
٢٣- المصدر نفسه، ص٣٩٧ .
٢٤- الامثل : ناصر مكارم الشيرازي،١/ ٤٤ .
٢٥- علل الشرائع:الصدوق،٦/١
٢٦- الميزان: الطباطبائي١٢٣/١-١٢٤.
٢٧- مجمع البيان : الطبرسي، ، ١/ ١٨٩.
٢٨- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ،١/ ٧٥ .
٢٩- تفسير العياشي : العياشي، ٣١/١.
٣٠- المصدر نفسه ،٣١/١ .
٣١- بحار الانوار:المجلسي،٢٠٥/٩٦.
٣٢- الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ١٤٢.
٣٣- المصدر نفسه ، ١/ ١٤٣ .
٣٤- أنظر : التفسير الكبير :الفخر الرازي ٢١٢/٢-٢١٦.
٣٥- الكافي:الكليني،٥٨/١.
٣٦- الأمثل :ناصر مكارم الشيرازي ٥٣١/٤.
٣٧- الدر المنثور: السيوطي، ٦٤٢/٢.
٣٨- بحار الانوار: المجلسي،٣٤٦/٣٥.
٣٩- روح المعاني: الآلوسي ،٢٢٤/١
٤٠- المصدر نفسه، ٢٢٤/١ .

٤١- تفسير العياشي : العياشي ١/ ٣٢.

٤٢- بحار الأنوار : المجلسي ١٤٥/١١.

٤٣- الميزان : الطباطبائي ١١٧/١.

٤٤- تفسير القرآن العظيم :ابن كثير، ٧٨/١.

٤٥- الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ١٤٠.

٤٦- المصدر نفسه، ١/ ١٤١.

٤٧- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، ٢٨٩/١ .

٤٨- سنن الترمذي :الترمذي ، ٢٧٣/٤.

٤٩- علل الشرائع:الصدوق، ص٦٠٠ ،باب ٣٨٥ حديث٥ .

٥٠- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين : نعمة الله الجزائري ، ص٦٤-٦٥.

٥١- الامثل: ناصر مكارم الشيرازي٥٤٣/٤-٥٤٤..

٥٢- تفسير القمي : القمي ، ٢٥٣/١.

٥٣- المصدر نفسه، ٢٥٣/١.

٥٤- الامثل: ناصر مكارم الشيرازي ،١/ ٢٥٣.

٥٥- المصدر نفسه،٤/ ٥٤٥ .

٥٦- الأمالي: الصدوق ،٢٥٨

٥٧- بحار الانوار: المجلسي، ١٦١/١.

٥٨- الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ٤/ ٥٤٥-٥٥٥.

٥٩- علل الشرائع : الصدوق،٢/ ٣٨٠.

٦٠- مفردات ألفاظ القرآن :الراغب الأصفهاني ، ص٢٩٤ .

٦١- مفاهيم القرآن :جعفر السبحاني، ٢/ ١٨٨.

٦٢- التبيان في تفسير القرآن: الطوسي،١/ ١٣١.

٦٣- مجمع البيان : الطبرسي، ١٣٢/١.

٦٤- التبيان : الطوسي ١/ ١٣١.

٦٥- تفسير البغوي : البغوي،١/ ٧٩.

٦٦- الميزان : الطباطبائي، ١/ ١٦١ .

٦٧- الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ١٣٧ .

٦٨- مجمع البيان : الطبرسي،١/ ١٧٧ .

٦٩- التبيان : الطوسي ، ١٣٣/١ .

٧٠- المصدر نفسه ،١٣٣/١.

٧١- الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ١٣٨ .

٧٢- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور،٤٠٠ .

٧٣- تفسير البغوي: البغوي، ١/ ٧٨ .

٧٤- مفردات ألفاظ القرآن:الراغب الاصفهاني، ص٥٧٧ .

٧٥- المحاسن : البرقي ،١٩٣/١ .

٧٦- الكافي : الكليني ، ١٠/١.

٧٧- مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني، ص١٩٦ .

٧٨- تكريم الله الإنسان :محمد عبد المحسن التقاوي، ص١٦٩ .

٧٩- الإنسان ذلك المجهول: الكسيس كارل،ص١٨٣

٨٠- محاسن التأويل : القاسمي،٢/ ٩٠٩ .

٨١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن السعدي ، ١/ ١٠٧٨ .

٨٢- الامثل : ناصر مكارم الشيرازي،٤٥٢/٧ .

٨٣- المصدر نفسه، ٧/ ٤٥٢.

٨٤- علل الشرائع: الصدوق، ٤/١ .

المصادر والمراجع

١- الامالي: الصدوق،أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي،(ت: ٣٨١هـ) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ط٥ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م
٣- الإنسان ذلك المجهول: الكسيس كارل، مطبعة المعارف، بيروت، ط٢، ١٩٧٧.

٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهارΓ: المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي ،(ت: ١١١١هـ)،مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٥- التبيان في تفسير القرآن:أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان (بدون تاريخ). ٦- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) منشورات دار الكتب الشرقية ،تونس ،(ب.ت) ،
٧- تفسيرالبغوي : البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: ٥١٦هـ)، دار طيبة – السعودية، ط٢ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٨- تفسير العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي ، (ت: ٣٢٠هـ)، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران .

٩- تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت:٧٧٤هـ)، المكتبة العربية .

١٠- تفسير القمي:أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي من أعلام قرني ٣-٤ هـ، دار السرور، بيروت، ط١٤١١،١هـ-١٩٩١م. ١١- التفسير الكبير او مفاتيح الغيب:الفخر الرازي فخر الدين ،محمد بن عمر الخطيب،(ت: ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية – طهران ط٢ .

١٢- تكريم الله الإنسان:مقالة لمحمد عبد المحسن التقاوي بعنوان ، مجلة الأزهر تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، محرم ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.السنة ٦٧ .
١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) ، جمعية أحياء التراث الإسلامي، الكويت ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٤- الدر المنثور في التفسير المأثور : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت:٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط٢ ، ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ.

١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود الالوسي (ت:١٢٧٠هـ)، دار الفكر ، لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

١٦- سنن الترمذي :الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة (ت: ٢٧٩هـ) تح: عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر للطباعة ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٧- علل الشرائع : الصدوق، تح: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٩٦٦م.
١٨- الكافي في الأصول والفروع: الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق(ت:٣٢٨هـ)،تحقيق: علي اكبر الغفاري،دار الكتب الاسلامية،طهران، ط٥،(بدون تاريخ)
١٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : المتقي الهندي، علاء الدين على بن حسام الدين(ت:٩٧٥هـ) تح:

محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية – لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ.
٢٠- لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل ،جمال الدين ، محمد بن مكرم الأفريقي،(ت: ٧١١هـ) ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ط١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢١- مجمع البيان : الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن ، (ت:٥٠٢هـ)، انتشارات ناصر خسرو، إيران ط٤١، ١٤١٦هـ. ٢٢- المحاسن : البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد، (ت: ٢٧٤هـ) تحقيق: جلال الدين الحسيني ، دار الكتب الإسلامية – طهران ١٣٧٠هـ.
٢٣- محاسن التأويل المعروف بـ(تفسير القاسمي) : محمد بن جلال الدين القاسمي،(ت: ٣٢٢هـ)، تصحيح: فؤاد عبد الباقي ، دار الكتاب العربي ، عيسى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٣٧٦ه-١٩٥٧م.
٢٤- معالم خلق الإنسان في القرآن الكريم: عبود مزهر الراضي ، دار الكتب العلمية – بغداد، ط٢ ، ٢٠٠٥م .
٢٥- معاني الأخبار: الصدوق، معاني الأخبار ،تح: علي اكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعةالمدرسين، قم ، ١٣٧٩هـ.
٢٦- مفاهيم القرآن :جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق (ع) ،قم ، مطبعة مهر ،ط٤ ، ١٤١٣هـ.
٢٧- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم ،الحسين بن محمد ،(ت:٥٠٢هـ): تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، انتشارات ذوي القربى ، قم المقدسة ، مطبعة كيما، ط٤ ، ١٤٢٥هـ.
٢٨- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، (ت: ١٤٠٢هـ):، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط٦ ، ١٣٧٩هـ- ٢٠٠٠م.

٢٩- نظرية التطور الداروينية، خرافة بإسم العِلم : طالب الجنابي، دار الأضواء – لبنان، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٣٠- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين : نعمة الله الموسوي الجزائري(ت:١١١٢هـ)،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات- لبنان ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد : أبو الحسن علي بن احمد الواحدي(ت:٤٦٨هـ) تح: مجموعة محققين،دار الكتب العلمية – لبنان ط١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.